الجانب الإنساني في حياة " الملك خالد بن عبد العزيز" من خلال مراثيه
" دراسة تحليلية أسلوبية "

د. محمد شاكر إبراهيم

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية العلوم الإنسانية

جامعة الملك خالد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، وبعد ....

فإن الذكرَ بفضائل الأعمال حياةٌ أخرى يحياها الإنسان ، فتظلُّ المآثرُ والأعمالُ الصالحةُ ذكرًا خالدًا في حياة الإنسان وبعد مماته ، وقد نرى أُناسًا يمشون على ظهر الأرض وهم أشبه بالأموات ، لم يتركوا ذكرًا حسنًا في دنيا الناس ، وهناك من هو في باطن الأرض وما زال خالدَ الذِّكر ، يحيا بمكارمه في دنيا الورى ، ويبتهج الأحياء احتفاءً بذكره .

وإن كان الملك خالد – رحمه الله – قد نال جانبًا من حقه في دراسات الكتاب والمؤرخين بما ترك من آثار وشواهد ، وما تميز به من صفات وفضائل جعلت منه (الملك الصالح) الذي يسعى إلى خير بلده وأمته [١]، فإنَّ هناك جانبًا بارزًا في حياة الملك خالد لم ينل حقه من البحث والدراسة – إن لم يكن قد أُغفل تمامًا – ألا وهو الجانب الإنساني من منظور الشعراء.

ومن ثم يقوم هذا البحث بإلقاء الضوء على ملامح الجانب الإنساني في حياة الملك " خالد بن عبد العزيز آل سعود " - رحمه الله – من خلال مراثيه ، وإبراز مناقبه ومآثره الخالدة التي لا تبلي جدتها الأيام ، فنراها نبراسًا يضيءُ لشباب أمتنا الطريق ، ومعالمَ واضحةً لمن أراد التأسِّي والسيرَ على خطى الصالحين .

ويستعين البحث بالمنهج التحليلي الأسلوبي للكشف عن ملامح الجانب الإنساني في حياة الملك خالد من خلال الصور الجمالية التي رسمها الشعراء في مراثيه ، وقد أفدت في دراسة النص الأدبي وما فيه من معنى وعاطفة وخيال من دراسة الأحوال النفسية ، والمتغيرات الاجتماعية ، والاستعانة كذلك بالدراسات الإنسانية من علم النفس ، والاجتماع ، والجمال، وكلها دراسات لا غنى عنها في إثراء الدراسات الأدبية التحليلية .

وقد صدّرتُ بحثي بتمهيد يعطي صورة موجزة تشمل أبرز ملامح الجانب الإنساني في حياة الملك خالد .

ثم انتظمتْ هذه الدراسة – بعد ذلك – ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :" حسن الخلق " ، تناولت فيه جوانب حسن خلقه – رحمه الله - بدءًا من الابتسامة وطلاقة الوجه ، مرورًا بنقاء نفسه ، وحيائه ، وشهامته ، إلى بذل النَّدى والسعي في قضاء حوائج الناس .

المبحث الثاني : " التواضع والزهد " ، تناولت فيه مظاهر تواضعه – رحمه الله - ، ودوافعه ، وزهده في الملك مع بيان حقيقة هذا الزهد .

المبحث الثالث :" الأبـــوة " ، وتناولت فيه مظاهر هذه الأبوة ، ودلائلها ، وأثرها في واقع أمته.

وذيَّلتُ البحث بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، مُتبعًا ذلك بثبت المصادر والمراجع ، والفهرست العام .وبعد ...

---

[١] تُراجع بحوث اللقاء العلمي الرابع من تاريخ الملك خالد الذي نظمه كرسي الملك خالد بعنوان: "الجوانب الاجتماعية في المملكة العربية السعودية في عهد الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود" ٤-١٤٣٩/٣/٥هـ في أبها، والجوانب الإنسانية في شخصية الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود- رحمه الله-: دراسة توثيقية تحليلية، عبد الرحمن محمد عسيري، سلسلة سيرة الملك خالد، مؤسسة الملك خالد الخيرية، ٢٠١٠م.

فهذا جهدي إن أصبت فالفضل لله وحده ، وإن كان ثمة تقصير ، فالكمال لله وحده ، وحسبي أني قد اجتهدت وأخلصت النية لله ، والله تعالى أسأل أن يجنبني الزلل ، ويرزقني السداد في الفكر والقول والعمل ، فهو وحده المستعان ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

،،،،يشكر الباحث جامعة الملك خالد على الدعم الإداري والفني لهذا البحث
د. محمد شاكر إبراهيم

تـمهيـد :

كان الجانب الإنساني عند الملك خالد – رحمه الله – حاضرًا حضورًا مؤثرًا في كل جوانب حياته ، فكانت نظرته إلى أبناء أمته نظرة الأب الحاني إلى بنيه ، يفرح لفرحهم ، ويتألم لآلامهم ، ويسهر على رعاية مصالحهم ، فيؤازر المحتاج ، ويغيث الملهوف ، وينصر المظلوم ، ويمسح عبرة اليتيم .

ومن خلال التأمل الواعي في مراثي الملك خالد – رحمه الله - تظهر لنا ملامح الجانب الإنساني في حياته التي برع الشعراء في تصويرها تصويرًا فنيًّا يرسم لنا صورة حية صادقة ماثلة في الأذهان ، باقية على مر الزمن، تظل عبيرًا يتنسمه الصالحون ، وعلامات بارزة يقتضي أثرها المصلحون .

ومن هذه الصور التي تناولت أبرز ملامح الجانب الإنساني عند الملك خالد – رحمه الله – قول الشاعر :

عرفنـــــاهُ شهمـًــا عطوفـًــا كريمـًــا عـرفنـــاهُ يحمـــلُ عنَّـــا الهمـومـــــا

عرفنـــــاهُ يخشــى السمـــيعَ البصيـــر ويحمـــــل قلبـًــا نقيـًــا سليمـــــا

عرفنـــــاهُ للـــــدين خيـــــرَ الدُّعـــــاةِ وللمسلميـــــن صديقـًــا حميمـــا

عـــرفنـــا التـــفـــاؤلَ فـــي وجـــهـــهِ فكان الطبيبَ يـــداوي السَّقيما

عرفنـــــاهُ دومـًــا مثـــــالَ الـــوفـــــاءِ أبـًــا حـانيـًــا وشقيقـًــا رحيمـــا

عرفنـــاهُ يـــدعـــو إلـــى الاتحـــادِ ونبـذِ الخصام ، ويأســو الكلومـــا

عرفنـــاهُ يسعـــى بكـــل اتجـــاهٍ لنسلُكَ دربَ الهـــدى مستقيمـا

عـــرفنـــا بـــه مَـــلِـكـًــا عـــادلًا حريصًـا على الشَّعب بَـــرًا حليما

يُواسي المريضَ ، ويُعطي الفقـيـرَ ويحمي الضعيفَ، ويـرعى اليتيمـا

صفـــــاتٌ تحـــــلَّى بهـــــا خالـــــدٌ فكـــان الإمـــــامَ ، وكـــان الزعيمـــــا[٢]

فقد تناول الشاعر في الأبيات السابقة أبرز الصفات التي جعلت من الملك خالد (الملك الصالح) ، وبها استحق الإمامة والزعامة ، وكانت هذه الصفات هي : (الشهامة ، العطف ، الكرم ، حمل هموم الأمة ، الخوف من الله ، نقاء القلب ، الدعوة إلى الله ، التفاؤل ، الوفاء ، الأبوة ، الدعوة إلى وحدة الصف ، العدل في الملك ، حبه لشعبه ، السعي في قضاء حوائج الناس ،...).

ولرسم هذه الملامح كرر الشاعر الجملة الفعلية (عرفناه) على المستوى الأفقي في البيت الأول، وعلى المستوى الرأسي في كل الأبيات ، ومن ثم تبرز بنية التكرار هذه القيمة الانفعالية لدى الشاعر التي حاول أن ينقلها إلى المتلقي من خلال هذا الإيقاع الموسيقي حيث حافظ على توازنه عبر تكرار هذه البنية الأسلوبية [٣]، وقد آثر الشاعر التعبير بالجملة الفعلية ، واختيار الفعل الماضي لدلالة وقوع المعرفة وتحققها ، فلا يتطرق إليها الشك ولا يرتقي إليها الريب ، ومع ثبات المعرّف فإن المعارف تتجدد وتتغير، ومن ثم عبر عن هذه المعارف بصيغة المضارعة هكذا : (عرفناه يحمل – عرفناه يخشى – عرفناه يدعو – عرفناه يسعى).

وفي هذا التحول عن صيغة الماضي عبر الجملة الثابتة المتكررة (عرفناه) إلى صيغة المضارعة المتغيرة المتجددة إثارة لانفعال المتلقي ، وسرعة الانتقال به عن هذه المعرفة الثابتة إلى ما تبثه صيغة المضارعة من أفعال متجددة[٤] تحمل دلالة استحضار المشاهد[٥] والتأثير المباشر في وجدانه عبر التصوير الحركي لهذا السيل المتتابع من المشاهد والمواقف الحاضرة والمتجددة التي لا تتوقف.[٦]

وكما عبر الشاعر عن هذه الصفات- (حمل هموم الأمة ، والخشية ، والدعوة إلى الاتحاد) – التي تحتاج إلى التجدد والاستمرارية بصيغة المضارعة ، فقد عبر عن الصفات الثابتة المستقرة بصيغة (الاسمية) على نحو:(شهما – عطوفا – كريما – خير الدعاة – صديقا – مثال الوفاء ..)

ولا شك أن تكرار هذه الملامح الجمالية للجانب الإنساني في حياة الملك خالد عند الشعراء في " مراثيه " يمثل قيمة انفعالية صادقة في التعبير عن الصورة الكلية التي يكشف البحث محاورها من خلال استقراء المدونة ، وهي " مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود " وهي تتكون من ثلاثة أبواب : الباب الأول دراسة نظرية ، والباب الثاني مراثي من الشعر الفصيح ، والباب الثالث مراثي من الشعر العامي ، وقد اقتصرت الدراسة في الجانب التطبيقي على المراثي من الشعر الفصيح ، إذن فهذا البحث ينطلق من الشعر وينتهي إليه في استخراج الصورة ، ولا يبني أحكاما على ما هو خارج النص الشعري.

---

(٢) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : عبد الله معيض المجيولي النفيعي ، الطائف السعودية ، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز ، ق٣٣ ص٨٧ ، مصطفى السروجى .

(٣) يُراجع : قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، منشورات مكتبة النهضة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧م ، ص٢٤٢.

(٤) يراجع : كتاب دلائل الإعجاز : لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني مصر ، دار المدني بجدة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢م، ص١٧٤.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧ هـ) ، قدمه وحققه وعلق عليه : د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، (د. ت .) ، ج٢ ص١٨١.

(٦) يراجع : ظاهرة التكرار في مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز دراسة أسلوبية : للباحث نشر بمجلة كلية دار العلوم جامعة الفيوم ، العدد (٣٠) إصدار خريف ٢٠١٢م ، ص١٨٨، ١٨٩ .

ومن خلال التأمل في مراثي الملك خالد نجد تكرار الشعراء لاسم الملك خالد مرتبطا بصفاته وشمائله فجاء بلفظه " خالد " سبعا وخمسين مرة ، وبكنيته " يا أبا بندر " عشر مرات ، وبلقبه " خادم الحرمين " مرتين ، و " خادم البيت " مرة واحدة ، وقد تنوب بعض التعبيرات الوصفية لتحل محل الاسم ، مثل : " ملك – يا رجلا – فقيدنا – الحبيب – يا مليكا – يا رمز الحق – يا عميدا – يا قائدا " فقد تكررت ستا وسبعين مرة وهي جميعا إحالات في صورة إعادة للصياغة.

وتبين من خلال الإحصاء أيضا أن الإحالة الضميرية تكررت في المراثي إحدى وتسعين وخمس مئة مرة ، حيث نلاحظ هذا الانتشار الواسع الذي يسهم بدور واضح في تماسك البناء النصي للمراثي بحيث يجعل منه كلا موحدا ترتبط بدايته بنهايته.

ومن خلال هذا الإحصاء نستطيع أن ندرك بوضوح هذا الحضور المؤثر للملك خالد في مراثيه ، ومن ثم استطاع الشعراء توظيف هذه العاطفة المؤثرة ، عاطفة الحزن والبكاء التي تستطيع بنية التكرار أن تعمل فيها عملها الخاص على المستوى الصوتي والمستوى الدلالي ، فالأجواء كلها مناسبة ومهيأة ، فـ " أَوْلَى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ؛ لمكان الفجيعة ، وشدة القرحة التي يجدها المتفجع ".[٧]

وقد تمحورت الشمائل والأخلاق والطباع التي ارتبطت بتكرار الاسم والإحالة الضميرية حول ثلاثة محاور دلالية : (حسن الخلق – التواضع والزهد – الأبـوة).

أولًا : حسن الخلق :

لقد كان الملك خالد – رحمه الله – " يتحلى بصفات وفضائل جعلت منه (الملك الصالح) ومن ثم أخذ الشعراء يفصّلون في أبعاد "حسن خلقه " - رحمه الله – بدءًا من الابتسامة وطلاقة الوجه [٨] إلى بذل الندى والسعي في قضاء حوائج الناس .

يقول الشاعر :

فأَيْـنَ نَظْـرَتُـهُ بالحُـبِّ طـافحـة كأنمـا هـي بشـرى تنشر الرَّغـدا ؟

وأين بسمتُهُ الحسناءُ هلْ سقطتْ شمسُ النَّهار على ليلٍ من الكمد؟[٩]

فقد استطاع الشاعر أن ينتقل بالمآساة من كونها مأساة فردية إلى مأساة كونية عامة تمس كل إنسان من قريب ، " فلا تقتصر على إنسان دون آخر ، أو جيل بعينه ، وإنما هي تعني كل

---

(٧) العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦ هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م ، ج٢ ص٧٦.

(٨) عن الحسن : "حسن الخلق : بَسْطُ الوَجْهِ ، وَبَذْلُ النَّدَى ، وكَفُّ الأَذَى " يُنظر : إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) ، تقديم : د. بدوي طبانة ، مكتبة كرياطه فوترا ، إندونيسيا ، ١٣٧٧هـ ، ١٩٥٧م ، الجزء الثالث ، كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ص٥٢. ويُنظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) تحقيق : محب الدين الخطيب ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وقصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، طبعة ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م ، الجزء العاشر ، حديث رقم (٦٠٣٥) ص ٤٧٠ .

(٩) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق١ ص٢٢ ، د. غازي القصيبي ، وفي البيتين إقواء.

إنسان في كل جيل ، فالكل إلى زوال ، والكل مودع ؛ فالفراق مصير كتبه الله على خلقه "[١٠] فأحسن توظيف بنية الاستفهام التي تكشف عن القيم الانفعالية في النص ، وتُسلِّطُ الأضواء على هذه القيم الإنسانية التي تشع دفئًا وحنوا في أرجاء الصورة ، وتزداد المأساة حينما يشعر المتلقي بزوال هذه القيم مع زوال شمس النهار ، ومن ثم فقد برع الشاعر في استغلال هذه الأجواء المهيأة التي تحيط بغرض الرثاء في الشعر العربي في رسم ملامح محنته من خلال الانفعال الصادق بها فـ " سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بيّن الحسرة ، مخلوطًا بالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الميت ملكًا... "[١١]

وقد عُرف عنه – رحمه الله – النقاء مع النفس ، والنقاء مع الخلق ، والنقاء مع ربه ، يقول الشاعر :

مليـــكٌ لم يقمْ في المُـــلْكِ إلا لنشـــرِ العـــدل يحفزه النقـــاء

نقـــاءُ ســـريرةٍ وصفـــاءُ قلـــبٍ وصـــدقٌ لا يخـــالطهُ مـــراء

مليـــكٌ زاهـــدٌ عبْـــدٌ منيـــبٌ ومـــا هزَّتْـــهُ يومـًـــا كبريـــاء

أحـــبَّ النـــاسَ فامتـــلؤوا ولاءً وكـــان لهم بما أضفـــى احتفـــاء[١٢]

فقد قصر الشاعر رسالته – رحمه الله – على إقامة العدل ، ومن ثم يوضح المعينات التي تساعده على هذه المهمة الصعبة فكان على رأسها النقاء بمعناه الواسع ؛ نقاء السريرة ، وصفاء القلب ، والصدق مع النفس ، ومع الخلق ، ومع ربه ، وأولى درجات هذا الصدق ، الزهد في الملك ، وكثرة العودة والإنابة إلى الله .

وقد أصاب الشاعر في الجمع بين (مليك) و (زاهد) فهي إشارة قوية إلى الزهد في الملك ، وخاصة في هذا الموقف ، فما حالَ (المُلْكُ) بينه وبين ربه ، وقد فطن الشاعر إلى هذا الفرق اللغوي الدقيق بين (مَلِكٍ) و (مَلِيكٍ) ، فأحسن توظيف هذه الصيغة في الأبيات فقد تكرر في الأبيات لفظ " مليك " مرتين وتجاوز العشرين مرة في "المراثي"، فـ" المليك مبالغة مثل : سميع وعليم ، ولا يقتضي مملوكا ، وهو بمعنى فاعل إلا أنه يتضمن معنى التكثير والمبالغة " [١٣] ذلك أنه من المعروف أنه كلما زاد المبنى زاد المعنى ، فالزيادة اللفظية تأتي – دائما – في مقابلة زيادة دلالية ، وقد أفرد ابن جني في خصائصه مساحة تناول فيها ذلك وفصل فيه القول.[١٤]

وتسيطر الفكرة نفسها على ذهن الشاعر ووجدانه ، فيتساءل في مطلع قصيدته :

---

(١٠) يراجع : شعر الفراق في العصر الجاهلي دراسة أسلوبية : رسالة ماجستير ، للباحث ، مخطوطة بكلية الآداب جامعة طنطا ، ١٤٢٣ ه ، ٢٠٠٣م ، ص١٧.

(١١) العمدة : ج٢ ص١٤٧ .

(١٢) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٣١ ص ٨٢ ، أحمد عبد السلام غالي.

(١٣) الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري (٣٩٥) حققه وعلق عليه : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧م ، ص١٨٢ .

(١٤) ينظر : الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٥٢م ، ج٣ ص٢٦٤ – ٢٦٨ .

أنرثيـــك أم نـــرثي البســـاطة والنقـا ونبكيـــك أم نبكـــي الطهـــارة والتقى ؟ [١٥]

فقد استخدم الشاعر الاستفهام التقريري في مطلع القصيدة (أنرثيك أم نرثي ..؟) ؛ لإعمال ذهن المتلقي ، و " إذا كان الاستفهام تقريريًا فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف به ، وينتزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام ، وهذا الاعتراف هو ما يريده المستفهم ؛ لأنه يؤكد حجته ، ويبطل حجة خصمه ، ولا شك أن هذا أبلغ من الأسلوب الإخباري ؛ لما يتضمنه من هذه الخصائص ."[١٦] **ومن ثم يكون خلق (النقاء) هو مفتاح رؤية الشاعر ، والدخول إلى عالم الصورة التي يشع في أرجائها الشعور بالحب الصادق المتبادل بين الراعي والرعية.**

وكان من خلقه - رحمه الله – الحياء ، يقول الشاعر :

كـــان الحيـــــاء مجســمًا فـــي شخصـــــــــــــــــه
كان التَّقَى يمشي على هـــذي الدُّنا
كـــــان السبيـــــــلَ لعـــــــــزة الأوطـــــــــــــــــــان
بالفضـــــــل يعلـــــــو هامـــــــةَ الأقـــــــــــــــــــر إن [١٧]

وفي التعبير عن خلق الحياء آثـــر الشاعر التحـــول إلى الزمن الماضي عن طريـــق الفعل (كان) " ففي وصف حدث ماض يكفي إيـراد كان في بداية الجملـة ، وبهذا يتم خلق ماض يسري على ما يليه ".[١٨]

ونلمح في إيثاره لهذه الصيغة الحفاظ على النغمة الموسيقية التي تلائم حالة النواح عبر الامتداد الزمني المصاحب لحركة المد في (كان) ، مما يثير انفعال المتلقي وجذب حواسه لمشاركة الشاعر في هذه التجربة ، إضافة إلى ما تحمله الإحالة الزمنية إلى الماضي من دلالات فـ " إيثار الماضي والعدول إليه دال على مبالغة في الثبوت والاستقرار".[١٩]

ومن ثم يلقي الضوء على هذه الصفات والمناقب القديمة الراسخة التي يلمسها العيان عبر الامتداد الزمني العميق ، فقد كان الحياء مجسما في شخصه ، فلم يقل : إنه كان يستحي أو يتصف بالحياء ، وإنما كان هو الحياء نفسه ، ثم ينتقل إلى الصفة الأخرى عبر هذا التحول الزمني من الماضي إلى المضارعة ، فقد (كان التقى يمشي) فجاءت الصيغة في زمن الماضي لتصدر الجملة بالفعل (كان) ، ولكن في تحوله إلى المضارع (يمشي) استحضارًا للصورة " حتى كأن السامع يشاهدها ".[٢٠]

وفي خلقي الشجاعة والكرم يقول الشاعر :

كنـــتَ فينا أبـــًا شُجَـــــاعًا كريمـــًا عَلَّـــمَ الناس أن يعيشـــوا كِرامـــــا[٢١]

فقد آثر الشاعر صيغة الماضي (كنت) للمبالغة في ثبوت الشجاعة والكرم واستقرارهما ، ولم يكتف بالصلاح في ذاته حتى أصبح مصلحًا ، فعلم الناس أن يعيشوا كراما .

---

(١٥) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٦ ، ص٣٤ ، عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس .

(١٦) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا : د. عبد الغني محمد بركة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣م ، ص١٧٢.

(١٧) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٢٦ ص٧٢، الشاعر منصور سالم زنفلي .

(١٨) دلالة الزمن في العربية دراسة النسق الزماني للأفعال : عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ٢٠٠٦ م ، ص٧٤ .

(١٩) الطراز : للإمام حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي ، تحقيق : د. عبد المجيد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ه ، ٢٠٠٢م ، ج٢ ، ص٥٧ .

(٢٠) المثل السائر : ج٢ ص١٨١ ؛ وانظر : ظاهرة التكرار في مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز دراسة أسلوبية : ص١٧٦ .

(٢١) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق١٦ ، ص٥٥ ، محمد خير عرقسوسي .

وفي مقابل التعبير بالماضي بما يحمله من دلالة التحقق والثبوت والاستقرار يلجأ بعض الشعراء إلى إيثار التعبير بالمضارع لرسم ملامح المحنة التي ألمت بالذات المبدعة في مواجهة الأزمة ، يقول الشاعر :

هـــو "خـــالدٌ " مَلِكٌ تـــولَّى مُلْكَـــهُ بالعـــدل والإنصـــاف والإيمـــان

أَبْكـــِي المـروءةَ والشَّهامة والنَّـدى إذْ وَدَّع الغـــالي ربيـــعَ زمـــاني[٢٢]

ففي التعبير عن الملك خالد آثر الجملة الاسمية (هو خالد) ، ثم تحول إلى التعبير بالماضي في صفاته التي أقام عليها ملكه (تولى بالعدل والإنصاف والإيمان) لدلالة التحقيق والثبوت ، ثم تحول إلى المضارع (أبكي) بما يحمله من دلالة الديمومة والاستمرارية ؛ فالبكاء لا ينقطع وذرف الدمع لا يتوقف .

وقد وفق الشاعر في رسم أبعاد هذه التجربة الصادقة التي برع في نقلها كاملة إلى المتلقي من خلال عاطفة الحزن الصادقة التي تشع في الأبيات حينما يكشف عن صفات المفارق : (المروءة ، والشهامة ، والندى) ، وهذه الصفات لم تكن قاصرة النفع على فئة بعينها إنما كانت تشمل الجميع ، نلمح هذه الإشارة من اختياره للفظ (الندى) " فهو اسم للجود الذي ينال القريب والبعيد ."[٢٣]

وأما قضاء حوائج الناس ، من مواساة المريض ، وإعانة المحتاج ، وإنصاف المظلوم ، فقد فصّل الشعراء القول في هذا الخلق الذي يحقق محبة الله من منطلق قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ".[٢٤]

يقول الشاعر :

كنـــتَ للشَّعْبِ رحمـــةً وغِيَـاثـًـا تَمْسَـحُ الهَـمَّ والضَّنَـى والشقـــاء[٢٥]

ويقول آخر :

رحـتَ تَأْسُـو جـراحَ كلِّ عليـــلٍ وتـــداوي الآلامَ والأسـقـــامـا[٢٦]

فقد عبر الشاعران بأسلوب الإجمال ، وهو الرحمة التي تمسح آلام الأمة وشقاءها ، والطبيب الذي يداوي الآلام والأسقاما ، وأما أسلوب التفصيل في قضاء الحوائج ، فيقول الشاعر :

وإنـك منـا العيـنُ والقلـبُ نابـضٌ بمـعنى حيـاة نورُهـا بـك يسـطـعُ

تَجَـلَّى بـك الإيمـانُ في كـلِّ لحظـةٍ فقلبُـكَ يَخْشَـى اللهَ والعيـنُ تدمـعُ

صَلاحُـكَ مَشْهُـودٌ به في عِبَـادِهِ رحيـمٌ تَقِـيٌّ بالعـطـاءِ مولـعُ

---

(٢٢) السابق : ق٢٦ ص ٧٢ ، منصور سالم زنفلي .

(٢٣) الفروق اللغوية : ص١٧٤ .

(٢٤) حديث حسن (ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج) يُراجع : صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : محمد ناصر الألباني ، أشرف على طبعه : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨م ، الجزء الأول حديث (١٧٦) ص٩٧.

(٢٥) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٩ ، ص٤٠ ، مطلق مخلد الذيباني.

(٢٦) السابق: ق١٦ص٥٥ محمد خير عرقسوس .

فكـــمْ من فقـــــيرِ قَدْ شَدَدْتَ بأزْرِهِ وأعطيتَـــــهُ فـــوقَ الذي كـان يطمـــعُ

وكـم من يتيـــمٍ في الحيـــــاةِ مشـــردٌ علـــــوتَ به عَمَّـــــا يكـــونُ وأرفعُ

وأرملـــــــةٍ عاشـــــتْ حيـــــاةً كريمـــــةً بظـــــلِّكَ تَجْنِـــــي الخـــيرَ لا تتجزَّعُ[٢٧]

بدأ الشاعر بالنتيجة قبل ذكر الأسباب ، فقد احتل – رحمه الله – منهم موضع العين والقلب؛ ثم شرع في ذكر الأسباب التي تمثلت في صفاته : (مخافة الله والبكاء من خشيته ، والصلاح ، والرحمة بالأمة ، والتقوى ، والعطاء) ، وكذلك تمثلت في جوانب النفع الموجه إلى أمته : من إعانة الفقراء وشد أزرهم ، وكفالة الأيتام والاهتمام بشأنهم ، ومواساة الأرامل والسعي على قضاء حاجاتهن .

ويقول الشاعر :

عـــــــرفنـــا بـــــه مَلِكًـــا عـــــادلًا حريصًـــا علـــى الشعـــب ، برًا حليمـــا

ُواســـي المريضَ ، ويُعطـــي الفقيـــرَ ويحمـــــي الضعيـــفَ ، ويرعـــى اليتيمـــا[٢٨]

استطاع الشاعر أن يلمس هذا الجانب الإنساني في حياة الملك خالد – رحمه الله – لمسًا مؤثرًا ، من خلال التكرار المتتابع لصيغة المضارعة ، وقد ساعدت البنية الإيقاعية من خلال حسن التقسيم في إثارة حواس المتلقي ؛ لمتابعة هذه الصور الجزئية التي تتضافر جميعها في رسم ملامح هذا الجانب الإنساني ، فالعاطفة الإنسانية تتجه دائما بالحنو والشفقة على : (المريض ، والفقير ، والضعيف ، واليتيم) ، وتتجه بالتعظيم والإكبار لمن يحسن إليهم .[٢٩]

وعن إنصاف المظلوم يقول الشاعر :

كنـــــت فينـــا إمـــامَ حـــقٍّ وعـــــدلٍ ترفـعُ الحيـفَ ... تنصـــرُ الضعفـــاء[٣٠]

ويقول الشاعر :

تبكي عليك جموعٌ عِشتَ تُسعـــــدها تسعـــــى إليك فينأى الهمُّ والكـــــدر

وتُنْصِفُ الســـائِلَ المظلومَ فـــي أَلَـــقٍ والحـــقَ تـــرسي وللتشريـــع تنتصـــر

يا آسي الجرح كم أبرأتَ مـــن ألـــمٍ وكم دعـــا لـــك مهضـــومٌ ومنكســـرُ[٣١]

فقد صدّر الشاعر أبياته بصيغة المضارع (تبـكـــي) لدلالة الاستمرارية وفَصَـــلَ بشبه الجملة (عليك) بين الفعل والفاعل (تبكي – جموع) لدلالة الاختصاص ، والرابط بين (بكاء الجموع) والجملة (عشت تسعدها) هو السببية ، فبمجرد أن تسعى إليه تنتهي الهموم والأحزان ، ومن أبرز الصفات التي ركز عليها الشاعر (إنصاف المظلوم) و (إرساء الحق) ، ويسهم الجانب الإيقاعي في رسم ملامح الصورة من خلال بث مشاعر الحزن والنواح في الأبيات عبر المد المتتابع في النداء (يا آسي) " فالإيقاع في الشعر – مهما اختلفت أشكاله –

---

(٢٧) نفسه: ق٢٣ص٦٩ سعيد إبراهيم العيد .

(٢٨) نفسه: ق٣٣ ص٨٧ ، مصطفى السروجى .

(٢٩) يراجع : ظاهرة التكرار في مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز دراسة أسلوبية : ص١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣٠) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود:ق٩ ص٤٠ مطلق مخلد الذيباني .

(٣١) السابق : ق٢١ ص٦٧، محمد عبد العزيز شلبي .

إنما هو إيقاع موظف لتوصيل المعنى على نحو فني " [٣٢] ويزيد في وضوح الصورة إضافة (المنادى/ آسي) إلى (الجرح)، فيطمئن قلوب المكلومين، مستوجبا تلك الدعوات الصادقة ، (وكم دعا لك مهضوم ومنكسر) .

وبذلك فقد تناولت في هذا المبحث (حسنَ الخلق) بصفة عامة بداية من بسط الوجه مرورًا بصفائه ونقاء سريرته ، وكذلك خلق الحياء ، والتقى ، والشجاعة والكرم ، والشهامة والمروءة ، وقضاء حوائج الناس ، وإنصاف المظلوم ، ومواساة المريض ، وفي المبحث التالي سألقي الضوء على تواضعه وزهده.

ثانيًا : التواضع والزهد :

وكان من أبرز صفاته ـ رحمه الله – " التواضع حيث عاش حياة هادئة بعيدًا عن حب المظاهر والترف "[٣٣] "، وعُرف – رحمه الله – بزهده " حتى يوم أصبح ملكًا لم يزهُ بالملك ، وإنما جعل المُلْكَ يزهو به ، فهو الملك المتواضع الذي يحب البساطة ، ويأبى حياة الترف والمظاهر الزائفة ".[٣٤]

وقد أشار إلى هذا المعنى كثير من الشعراء ، فيقول الشاعر :

هل كالبساطةِ تاجٌ عَزَّ لابسُهُ ؟ هل كالبراءةِ عرشٌ ثابتُ العمدِ ؟[٣٥]

فالاستفهام لم يُرجَ من ورائه إجابة ، وإنما لحمل المخاطب على توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه ليتمكن من فهمه ، ثم الإقرار بهذه الصفات وعلى رأسها البساطة والبراءة والتواضع ، ومن ثم تسهم بنية الاستفهام في " فتح المجال الدلالي وشحنه بقوة إيحائية تستدرج القارئ إلى إكمال النص ، وتدفعه إلى البحث عن عناصر الغياب من نواقص وإجابات ".[٣٦]

ويقول الشاعر :

الدينُ دربٌ والتواضعُ دأْبُهُ أدعُو له بالفوزِ والغفران[٣٧]

فقد عبر الشاعر عن ثبات خلق التواضع ، واستقراره باستخدام الجملة الاسمية (التواضع دأبه)، ومن ثم اجتمع على توكيد استمرارية الخلق وثباته عاملان : الأول صريح : وهو اختيار اللفظ (دأبه) والثاني إشاري : من خلال التعبير بصيغة الجملة الاسمية .

ونستطيع أن نقف على مظاهر تواضعه من خلال معاملته لرعيته فقد أصبحت عادة عنده أن يجلس ويلتقي بهم لحل مشاكلهم ، يقول الشاعر :

أحقًا لن يجيءَ اليوم كالعادة يا إخوان ؟

ولن يجلسَ كالعادةِ

للمظلومِ والمفجوعِ والأسيان ؟ [٣٨]

---

(٣٢) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي : د. محمد العبد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨م، ص٣٢.

(٣٣) الرثاء الخالد فيما قيل عن الملك خالد : عبد المجيد العمري ، وكالة نوسة للدعاية والإعلان ، الرياض ، ١٤٠٨ هـ ، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز ، ص٧ .

(٣٤) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ص١٧ .

(٣٥) السابق : ق١ ص٢٢ د. غازي القصيبي .

(٣٦) ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل : عصام شرتح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥م ، ص٣.

(٣٧) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٢٩ ص٧٨ ، علي أحمد عبد الله مظفر.

ولم يقف الأمر عند قضاء حوائجهم ، بل امتد حتى يشمل تَعَرُّفَ أحوالِهم ، والاهتمامَ بأخبارهم :

وأنت ببسمـــــة البشـــــر التي لا تعـــــرف الأكـــــدار

تلاحظنـــــــا .. تداعبنـــــــا

نقـــــــص روائع الأســـــــمار

وتســـــــأل ذا متـــــى عـــــاد مـــــن الأســـــــفار

وتســـــــأل ذاك

عما جـــــاء في الأخبـــــار (٣٩)

وقد اقترن عنده – رحمه الله – خلق التواضع بالزهد في الملك ، فقد كانت الدنيا بين يديه ، ولكنه كان يؤثر الآخرة ، يقول الشاعر :

مـــــلكٌ يأســـــرُ القلـــــوبَ بتقـــــواهُ وسيمـــــاهُ لا يزهـــــو المظـــــاهر (٤٠)

ولم يُغْرِه الملكُ فزهدَ فيه ، وآثر ما عند الله ، فكان كثير الإنابة إلى ربه ، يقول الشاعر :

مليـــــــكٌ زاهـــــدٌ عبـــدٌ منيـــبٌ ومـــا هـــزَّتْهُ يـــومـًــا كبريـــــــــاء(٤١)

وقد وفق الشاعر في الجمع بين لفظ (مليك) و (زاهد) للدلالة على زهده في الملك وإيثاره ما عند الله وتواضعه ؛ لعلمه أنه ظل زائل ، يقول الشاعر :

ويَعْرِفُ أن الْمُلْـــكَ ظـــلٌّ مبـــارحٌ وأن خطـــوبَ النائبـــاتِ تنـــــوب (٤٢)

ولذلك كان مستعدًا لترْكِ ذلك كله ، بل باعه راضيًا مختارًا وآثر دار الخلود الباقية ، يقول الشاعر:

بَهْـــرَجُ العيشِ .. لمْ يُمِلْكَ إليـــــهِ أنـــتَ أوليتَـــهُ قِلـــًى وازدراء

بِعْتَ هـــذي الدُّنـــا بـــدارِ خُلُـــودِ وهـــي أبقى وقد كرمـت .. بقاء(٤٣)

والزهد عنده – رحمه الله – لا يعني الانقطاع عن العمل ، فلم يتوقف عن عطائه ، وجهاده ، ورعاية أمته ، والقيام بتكاليف الأمانة التي حملها .

وبذلك فقد تحدثنا في هذا المبحث عن تواضعه – رحمه الله - ، ومظاهر هذا التواضع في واقع أمته ، وزهده بصفة عامة ، وزهده في الملك بصفة خاصة ، وإيثاره ما عند الله عز وجل ، وفي المبحث التالي سأتناول جانبًا مؤثرًا في حياته ألا وهو (الأبوة والحب المتبادل بينه وبين الرعية).

---

(٣٨) السابق : ق٢ ص٢٦ د . غازي القصيبي .

(٣٩) نفسه : ق٢ ص٢٧ د. غازي القصيبي .

(٤٠) نفسه : ق١١ ص٤٤، محمد بن علي السنوسي .

(٤١) نفسه : ق٣١ ، ص٨٢ ، أحمد عبد السلام غالي .

(٤٢) نفسه : ق٣ ص٢٨ ، عبد الله بن محمد بن خميس .

(٤٣) نفسه : ق٩ ، ص٤٠ ، مطلق مخلد الذيباني .

ثالثًا :الأبـــوة :

فقد كان الملك خالد - رحمه الله - " يستمد من إيمانه بربه وفطرته السليمة ما ملأ نفسه بالحب لكل الناس ، حيث كان الحب جسرًا يصل بينه وبينهم ، وعرف الناس عنه ذلك فأحبوه ، وبادلهم حبًا بحب ، فكان قريبًا منهم ، يفرح لفرحهم ، ويتألم لآلامهم ، وكانت نظرته إلى أبناء أمته نظرة الأب الحاني إلى بنيه ".[٤٤]

وقد تكرر هذا المعنى بصورة واضحة في (المراثي) ، وتعددت أساليب الشعراء في إبرازه ، فهناك من استخدم الأسلوب الخبري ، ومنه قول الشاعر :

وكـــــان وداعًـــــا عظيمًـــــا لشعـــــبٍ مضـــــى عنـــــهُ وَسْـــــطَ الوغـــى قـــائدُ

بكيـــــتُ طويـــــلًا فـــــإن المصـــــابَ جليـــــــــلٌ وأنـــــتَ لنـــــا والـــــدُ

لعـــلَّ الدمـــــــوعَ تضـــــيءُ طريقًـــــا طغَـــــى فيـــــه هذا الدجـــى الحـــاقدُ[٤٥]

يوضح الشاعر صفات هذا القائد الذي ودعه شعبه بالبكاء ، ومن أبرز هذه الصفات الأبوة التي عبر عنها بالجملة الاسمية (وأنت لنا والد) للدلالة على رسوخ هذه الأبوة واستقرارها في واقعهم ، ومن ثم كان المصاب عظيمًا لفقده ، ولعلّ هذه الدموع أن تكون مسلاة لهم .

ويقول الآخر :

هـــو الوالـــدُ الحانـــي والبِرُّ طبعـــهُ هـــو البـــاذلُ المعروف جمًا فلا حصـر[٤٦]

فقد كرر الشاعر صيغة الجملة الاسمية في البيت مع ثبات المسند إليه (هو) وتغيير المسند (الوالد – الباذل) بصيغة اسم الفاعل للتأكيد على اختصاصه – رحمه الله – بصفات : الأبوة ، والحنو ، والبر ، والبذل ، واستقرار هذه الصفات وثبوتها ، فهي صادرة عن طبع جُبِلَ على الخير وإسداء المعروف .

ويقول الآخر :

متحـــــببٌ للشعـــبِ يبذلُ جهـــــدَهُ فيمـــــا يفيـــــدُ النـــاسَ ليسَ بباخـــــل[٤٧]

فقد عبر الشاعر عن عاطفة الحب التي تملأ جوانحه – رحمه الله - تجاه شعبه بالجملة الاسمية (هو متحبب) ، وحذف المبتدأ (الضمير) ؛ للعناية والاهتمام بالخبر ، وعبر عن البذل والعطاء بالجملة الفعلية (يبذل جهده) ، فأفاد التجدد والاستمرار .

ويقول الآخر :

حَمَلَ (الشعبَ) قبل أنْ يحملَ التَّاجَ بقـــــلبٍ كَرِقَّـــــةِ الزَّهْـــرِ طـــاهـــر

---

(٤٤) نفسه : ص١٧ ، ويراجع: خالد بن عبد العزيز سيرة ملك ونهضة مملكة :أحمد بن زيد الدجعاني ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠٢ م ، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز ، ص٣٧٣، والملك خالد بن عبد العزيز آل سعود دراسة تاريخية وحضارية : نوال الخياط ، رسالة جامعية ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٣ م ، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز ، ص ١٣٤.

(٤٥) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٤ ، ص٣٠ ، د. مانع سعيد العتيبة ؛ وانظر : ق٢ص٢٥ ؛ وق٤ ، ص٣٠ ؛ وق٧ ،ص٣٦ ؛ وق٨ ، ص٣٨ ؛ وق١٠ ، ص٤٣ ؛ وق١٤ ، ص٥١ ؛ وق١٨ ، ص٥٩ ؛ وق١٩ ، ص٦٤ ؛ ق٢٣ ، ص ٦٩ ؛ ق٣٣ ، ص ٨٧ ؛ ق٣٥ ، ص ٩١ .

(٤٦) السابق : ص٩١.

(٤٧) نفسه : ق٥ ، ص٣٢ ، راشد بن صالح بن خنين .

ورعـــــــاهُ رعـــــايـــــةَ الأبِ يرعَـــــى ابنَهُ الفـــردَ وهْـــوَ مازال قاصـــر

وحمـــاهُ مـــــن الأســـــى و المآســـــــي و وَقَـاهُ مـــن اللظـى والهواجـــر

وبنـــى حكمـــــه على الحبِّ والإيمـــانِ بالله فـــــي خفـــــي وظـــــــاهـــر

وأحـــــاطَ الحِمـــــى بقلـــــبٍ كبيـــــرٍ بعطـــــاءٍ مـــن المحبـــةِ غـامـــــر

كـــــلَّ يـــــومٍ لـــه يـــــدٌ تغمـــرُ الشَّـــعْبَ نهوضًـــــــا ووثبـــــــةً ومـــــــــآثـــر[٤٨]

فقد وظف الشاعر صيغة الفعل الماضي (حمل – رعاه – حماه ...) لتأكيد حدوث هذا المعنى والقطع بوقوعه ، فقد قام على رعاية شعبه كما يقوم الأب على رعاية ولده، ولم يقل أولاده، وإنما اختار صورة الأب الذي لا يملك إلا هذا الولد ليس له غيره ، فتراه يسخر كل حياته لخدمته، ويحيطه بالرعاية والحب الغامر .

ويقول الآخر :

كنـــتَ فينا أبـــًا شُجَاعًا كريمـــًا عَلَّـــمَ الناس أن يعيشوا كِرامـــــا

طِبْتَ حيًا و طَابَ مَثْـــوَاك مَيْتـــًا وكـــذا طِبْتَ قُـــدْوَةً وإمـــــامـــا[٤٩]

فقد عبر الشاعر عن هذه الأبوة وعاطفة الحب باستخدام الفعل (كان) بصيغة الماضي ، ونرى توظيف هذه البنية عند شعراء آخرين ، منها قول الشاعر :

كنتَ للشَّعْبِ رحمـــةً وغِيَـــاثـــًا تَمْسَـــحُ الهَـــمَّ والضَّنَى والشقـــاء[٥٠]

ويقول الآخر :

كنتَ مـــلءَ القلوبِ يـــا أيُّها الـــرَّا حِـــلُ عنَّـــا وكنـــتَ مـــلءَ الخواطـــر

كنـــــتَ يا رائـــــعَ الخـــلالِ لأبنا ئِـــكَ ..أحلى المُنَى وأغلى الذَّخائر[٥١]

فهي إذن عاطفة الأبوة التي تشع الدفء في أرجاء الصورة ، وتملؤها بالحركة والسعي والبذل رحمةً بأبنائه ، فيمسح عنهم الهم والشقاء ، ويغرس فيهم العزة والكرامة .

وقد يستخدم الشاعر أسلوب الحوار ؛ لتنشيط ذهن المتلقي ، وإضفاء الحيوية على النص ، وضمان استمرار المتابعة ، فيقول :

وأنـــــا أراكَ أبـــًا فَـــيَـــــا دُنْيَـــا أصيخـــي اليومَ سَمْعـــا

إنِّـــي أُحِبُّ أَبِـــــي أُحِبُّـــكَ خـــــالـــــدًا وتـــــرًا وشَفْعـــا[٥٢]

فيتحدث الشاعر إليه ، وتسمع الدنيا كلها حديث الابن لأبيه ، حديث الحب والمودة ، والاعتراف بالجميل وشكر صانعه .

---

(٤٨) نفسه : ق١١ ، ص ٤٤ ، محمد بن علي السنوسي .

(٤٩) نفسه : ق١٦ ، ص٥٥ ، محمد خير عرقسوسي .

(٥٠) نفسه : ق٩ ، ص٤٠ ، مطلق مخلد الذيباني .

(٥١) نفسه : ق١٣، ص٤٨ ، محمد حسن فقي .

(٥٢) نفسه : ق٢٥ ، ص٧١ ، محمد سعد المشعان .

وقد يستخدم بعض الشعراء أسلوب القصر في الحديث عن عاطفة الحب والأبوة ، فيقول الشاعر :

وما الحُكْـــمُ إلا أنْ يُتَوَّجَ حَاكـمٌ بِحُـــبٍ وأن تَحْنُـــو عليه قلـــوب[٥٣]

فالقصر هو" تخصيص شيء بآخر "[٥٤]**، فإنما يُحْمَدُ الحُكْمُ حينما يتوج الحاكم بحب الرعية ، ويقول الآخر :**

حَكَمْتَ فلمْ تَزْرَعْ سوى الحبِ والهَنَا وهـــلْ كنـــتَ إلا " وَالِـــدًا " مُتَرَفِّقـــا
(٥٥)

فقد وظف الشاعر أسلوب القصر (لم تزرع سوى الحب) لدلالة الاختصاص ، ومن ثم فلن يجني سوى الحب المتبادل ، وقد أشار إلى هذا المعنى في الشطر الثاني عن طريق أسلوب القصر أيضًا (وهل كنت إلا والدًا مترفقا ؟).

وقد تبدو هذه العاطفة في نداء الشاعر ، فيقول :

يا أبـــًـــا راحمـــًـــا لكل ضعيـــفٍ سـوف تبقـى علـى الليالي الحبيبـا[٥٦]

فقد جاء النداء يحمل صرخة مدوية أمام مشهد الفراق ، واعترافًا واضحًا بالجميل ، وإعلانًا بالوفاء الثابت على مرّ الليالي وكرّ الدهور .

ويقول الآخر :

يـــا والـــدًا بالحُبِّ تجمـــعُ شَمْلَنـــا وننـــامُ مـــلءَ جفونِنَـــا ونُسَاهِـــر
(٥٧)

فقد أثمرت عاطفة الأبوة في واقع أمته ، فجمع شملهم ، وألف بينهم ، فشعروا بالأمن والطمأنينة .

وقد يتحول الشاعر عن الأسلوب الخبري إلى الاستفهام التقريري ؛ ليغرس هذا المعنى في نفس المتلقي ، فيصل -بعد الأناة والتدبر- إلى هـــذه الحقيقة عن طريق إعمال الذهن والاقتناع العقلي ، يقـــول الشاعر :

أحـــبَّ النَّـــاسَ فامتلـــــؤوا ولاءً وكان لهـــم بما أضفـــــى احتفاء

ألـمْ يَـــكُ والدًا يزْدَادُ عَطْفًـــا إذا مـــا نَـــابَهُمْ يومـــًـــا عَنَـــاء ؟
(٥٨)

فقد تحول الشاعر عن الخبر (أحب الناس) إلى الاستفهام التقريري (ألم يك والدًا ..)؛ لغرس معنى الأبوة والحب في نفس المتلقي .

---

(٥٣) نفسه : ق٣ ، ص٢٨ ، عبد الله بن محمد بن خميس .

(٥٤) يراجع : البيان : كرم البستاني ،مكتبة صادر ، بيروت ،(د . ت .) ، ص٣٤ .

(٥٥) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٦ص٣٤ ، عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس .

(٥٦) السابق : ق١٩ ، ص٦٢ ، علي هاشم رشيد .

(٥٧) نفسه : ق٢٧ ، ص٧٤ ، طلعت أحمد حسين وفا.

(٥٨) نفسه : ق٣١ ، ص٨٢ ، أحمد عبد السلام غالي .

وقد يستخدم الشاعر الاستفهام التقريري لإعمال ذهن المتلقي ، ثم يعدل إلى الأسلوب الخبري لغرس حقيقة الحب المتبادل بين الراعي والرعية ، يقول الشاعر:

أنرثيك أم نرثي البساطةَ والنقا؟ ونبكيك أم نبكي الطهارةَ والتقى ؟

نما الحبُّ في جنحيك أبيضَ ناصِعًا فَأَزْهَرَ في إحساسنا وتعمَّقا

وبَادَلَكَ الشعبُ الوفيُّ محبةً كما أنت لا زيفًا ولا متملقا(٥٩)

استخدم الشاعر الاستفهام التقريري (أنرثيك أم نرثي ...) ؛ لإعمال ذهن المتلقي ، ثم عدل إلى الأسلوب الخبري (نما الحب – بادلك الشعب) فقد غرس الحب فأثمر في واقع أمته ، وكان الوفاء وردّ الجميل أن بادله الشعب حبًّا صادقًا خالصًا لا يشوبه زيف ولا نفاق ، كما يقول الشاعر:

أَخْلَصَ الشَّعْبُ حُبَّهُ فَتبدّى بهواكم يتيهُ .. يهدي الشُّعوبَا(٦٠)

ومن ثم أصبح نموذجًا قدوة تشتاق الشعوب إلى احتذائه واقعًا مأمولًا في حياتهم ، والجزاء من جنس العمل ، فمن أعطى لله ، وضحى ، وبذل ، خلّد الله ذكره في حياته وبعد مماته ، وقد تكرر هذا المعنى في (مراثي الملك خالد) من خلال توظيف بنية (الاسم / خالد) بصيغة (اسم الفاعل) ، أي ليس مقيدًا بزمن ينقضي بانقضائه ، وإنما يحمل دلالة الاستمرارية والتواصل والخلود ، فإذا به يحمل دلالات مكثفة ، وقيمًا روحية وإنسانية باقية ، وقدرة على إثارة الانفعال والتعاطف في نفوس المتلقين، ومن ثم كان إلحاح الشعراء على" إبقاء هذه الذات التي هي عبارة عن مجموعة من القيم الخالدة ، والانتقال بها من الزمانية والحدوث إلى الديمومة والخلود ، ومن أجل أن تدوم أعماله وتصير مطلقة ، فلا تحاصر بما في صيغ الأفعال من عرضية وجزئية تجعلها تنقضي بانقضاء زمانه المحدود".(٦١) فيقول الشاعر :

يا خالدًا خَلَّدْتَ ذِكْرَكَ عندما نَطَقَتْ بِفَضْلِكَ هذه الأعمال(٦٢)

ويقول الأخر :

سيظل ذِكْرُكَ في القلوب مدًا بمآثرٍ تَبْقَى للبلادِ مفاخر(٦٣)

ستظل هذه المآثر شاهدة ناطقة بفضله ، فقد اقتضت حركة الحياة لدى النابهين أن تكون أعمالهم فيها سجلًا شاهدًا لهم ، وذكرى خالدة بعد مماتهم ، وصفحات مضيئة يوم لقاء ربهم ، فإن الذكر بفضائل الأعمال حياة أخرى يحياها الإنسان بعد مماته ، فهناك أناس يمشون على ظهر الأرض وهم أشبه بالأموات ، لم يتركوا ذكرًا حسنًا في دنيا الناس ، وهناك من هو في

---

(٥٩) نفسه : ق٦ ، ص٣٤ ، عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس .

(٦٠) نفسه : ق١٩ ص٦٤ ، علي هاشم رشيد .

(٦١)يراجع : بلاغة التكرار في مراثي الخنساء : أ . مليكة بوراوي ، جامعة محمد خيضر بسكرة – مجلة العلوم الإنسانية، ٢٠٠٦م ، ص٨ ، ٩ .

(٦٢) مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود : ق٣٢ ص٨٥ ، نور الدين عيسى .

(٦٣) السابق : ق٢٧ ص٧٤ ، طلعت أحمد حسين وفا .

باطن الأرض وما زال خالد الذكر ، يحيا بمكارمه في دنيا الورى ، يبتهج الأحياء احتفاء بذكره؛ لأنه سكن القلوب ، ومن ثم فذكره متجددٌ ، لا يُمل منه .

وقد كثَّفَ الشاعر هذه الصورة في حكمة باقية حيث يقول :

رُبَّ مَيتٍ لمْ يأخذ الموتُ منه غيرَ جثمانهِ وغيرَ المآزر [٦٤]

فهذه صورة رائعة ، وحكمة باقية تصور حال الأتقياء عند ربهم ، وخاصة من كانوا يسعون في قضاء حوائج الناس ، وتفريج الكربات ، ونصرة الحق والاهتمام بقضايا الأمة .

***

(٦٤) نفسه : ق١٣ ص٥٠ ، محمد حسن فقي .

الخاتمة

وبعد هذه المعايشة في المراثي متفيئين ظلال الجانب الإنساني في حياة الملك خالد فإن التكريم الحقيقي الذي يجب أن يحظي به ألا ننسى ذكراه ، وأن يبقى حيًّا في قلوبنا ، وأرواحنا ، وذاكرتنا ، وأن نترسم خطاه ، ونتمثل أقواله ، ونتبع منهجه واقعًا عمليًّا ، ونكمل مسيرته في النهوض بهذه الأمة ، والعمل على استرداد مكانتها التي أرادها الله عز وجل لها بين الأمم .

وقد توصلتُ إلى عدد من النتائج أُجلِّي – بإيجاز شديد – فيما يلي أهمها :

- **وُفِّقَ الشعراء – على اختلاف أسلوبهم وتباين ألفاظهم ومفرداتهم – في رسم صورة صادقة أماطت اللثام عن ملامح الجانب الإنساني في حياة الملك الصالح خالد بن عبد العزيز – رحمه الله – فَجَسَّدُوا لنا: صلاحَ دينه ودنياه ، نقاء سيرته وصفاء سريرته ، شجاعته وكرمه ، تواضعه وزهده ، أبوته وحبه ، انشغاله بهموم أمته وقضايا وطنه ...وغير ذلك مما لا يُعَدُّ ولا يحصى .**
- **برعَ الشعراء في التعبير عن ملامح الجانب الإنساني بما ينقل لنا صورة حية صادقة ماثلة في الأذهان ، باقية على مرِّ الزمن ، تظلُّ عبيرًا يتنسمه الصالحون ، وعلامات بارزة يقتفي أثرها المصلحون .**
- **من خلال الإحصاء جاء الارتباط واضحا بين تكرار الاسم / خالد والإحالة الضميرية وبين المحاور الدلالية التي انطلق منها البحث " حسن الخلق – التواضع والزهد – الأبـــوة " مما أسهم بدور واضح في تماسك البناء النصي للمراثي.**
- **أجاد الشعراء توظيف بنية الاسم / خالد بصيغة " اسم الفاعل " في رسم صور فنية تحمل دلالة الاستمرارية والخلود لملامح الجانب الإنساني.**
- **تجلّت ظاهرة التكرار في (المراثي) بصورة فاعلة ، فاستطاع الشعراء أن يجعلوا منها أداة جمالية تضفي على النص الشعري الحيوية والإيقاع بما يمنحه خصوصية في الأداء ، وتميزًا في تشكيل البنية ووضح الدلالة .**

***

قائمة المصادر والمراجع :

١ ـ المصادر

- **القرآن الكريم .**
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م .**
- **صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ) : إشراف : علي عبد الحميد أبو الخير ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م.**
- **مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز آل سعود: عبد الله معيض المجيولي النفيعي، الطائف، السعودية ، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز.**

٢ ـ المراجع

- **إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي : د. محمد العبد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨م .**
- **إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) ، تقديم : د. بدوي طبانة ، مكتبة كرياطه فوترا ، إندونيسيا ، ١٣٧٧هـ ، ١٩٥٧م .**
- **أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا : د. عبد الغني محمد بركة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٣ ه، ١٩٨٣م .**
- **بلاغة التكرار في مراثي الخنساء : أ . مليكة بوراوي ، جامعة محمد خيضر بسكرة – مجلة العلوم الإنسانية، ٢٠٠٦م .**
- **البيان : كرم البستاني ،مكتبة صادر ، بيروت ،(د . ت .) .**
- **خالد بن عبد العزيز سيرة ملك ونهضة مملكة: أحمد بن زيد الدجعاني ، مكتبة الملك فهد الوطنية،٢٠٠٢م، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز.**
- **الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، الطبعة الثانية،١٩٥٢م .**
- **الدعوة في عهد الملك خالد بن عبد العزيز : نمر الحربي ، رسالة جامعية ، جامعة المدينة المنورة ، كلية الدعوة ، ١٤٢٥هـ ، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز.**
- **دلالة الزمن في العربية دراسة النسق الزماني في الأفعال : عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ٢٠٠٦م .**

- **الرثاء الخالد فيما قيل عن الملك خالد:عبد المجيد العمري، وكالة نوسة للدعاية والإعلان، الرياض، ١٤٠٨ هـ قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز.**
- **شعر الفراق في العصر الجاهلي دراسة أسلوبية : رسالة ماجستير للباحث ، مخطوطة بكلية الآداب جامعة طنطا ، ١٤٢٣ ه ، ٢٠٠٣ م .**
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : محمد ناصر الألباني ، أشرف على طبعه: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨م .**
- **الطراز : للإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .**
- **ظاهرة التكرار في مراثي الملك الصالح خالد بن عبد العزيز دراسة أسلوبية : للباحث نشر بمجلة كلية دار العلوم جامعة الفيوم ، العدد (٣٠) إصدار خريف ٢٠١٢م .**
- **العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ، ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(٤٥٦ هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م .**
- **الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، حققه وعلق عليه : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٨ه ، ١٩٩٧م .**
- **قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة ، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م .**
- **كتاب دلائل الإعجاز : لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (٤٧٤ هـ) ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني مصر، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م.**
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧ هـ)، قدمه وحققه وعلق عليه: د . أحمد الحوفي ، دكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة، الطبعة الثانية ،(د. ت .).**
- **الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود دراسة تاريخية وحضارية :نوال الخياط ، رسالة جامعية، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٣م ، قاعدة معلومات الملك خالد بن عبد العزيز.**